Coptology

وقال شيخ ...

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

www.coptology.org

الاستنارة الداخلية

قال الشيخ: "الاستنارة الداخلية هي أن تكون مع الجماعة بقلبك وتحفظ حرية إرادتك. أن تحيا دون خضوعٍ لبرنامج وفرائض. أن لا يكون الماضي سببَ حزنٍ أو ينبوعَ يأسٍ. لا تقلق على المستقبل. إن حاول أحدٌ أن يدفعك للجري، امشِ في هدوءٍ واتزان. وإن حاول أن يجُرُّكَ خلفه، فكن في ثقل الجبل. عِش مثل عاصفة وتحرك مثل ريشة في النسيم. اطفُ على سطح المشاكل مثل عود قشٍّ، واطحن صراعك الداخلي في وداعة وهدوء وثقل حجر الرحى. حِب كل الخليقة في اتزانٍ ومساواةٍ بين الكل. الأرضُ هي السماء التي ستحيا فيها. ليكن قلبك حُرًّا من الكل محبًّا للكل".

فقدان التمييز

قال الشيخ: "الهلاك هو السلوكُ بلا هدف، التقدُّم على حساب الآخرين، الفرائضُ بلا رحمة، الغنى بلا عمل، التعليم بألفاظٍ فقط، الحديثُ بلا فرصةٍ للصمت، الصلاةُ بدون انتباه القلب، الكبرياءُ التي نَمَت ولم تدع ثقبًا صغيرًا للتواضع".

بداية التمييز

قال الشيخ: "بدءُ الحكمة هي أن تُدرك وترى الفراشة وهي لا تزال في الشرنقة، والنسر وهو لا يزال في البيضة، والقداسة الكامنة حتى في أحطِّ النفوس".

الخطوة الأولى

قال الشيخ: "بداية التحول الداخلي، لا أن تتعلم شيئًا جديدًا، بل أن تزيل من قلبك ما تعلَّمته في الماضي".

الضعف هو القوة الحقيقية

كيف نبدأ حياتنا الروحية؟ أجاب الشيخ: "بالاستنارة الداخلية". وكيف تبدأ الاستنارة الداخلية؟ أجاب الشيخ: "لو توهَّم أحدكم وجود أسدٍ في الطرقة، فإنه إمَّا أن يجري هربًا، أو يبحث عن سلاحٍ، أو يتجمد من الخوف ... والاستنارة هي إسقاط الأوهام. وإسقاط الأوهام يعيد السلام الفكري لكي يبدأ الإنسان في إدراك أنه مشغولٌ بما لا قيمة له. هذه بداية التحول؛ أن تدرك أن القوة الحقيقية هي أوهامٌ، وأنك أضعف بكثير. لكن الضعف قوة لأن الرسول قال: حينما أنا ضعيفٌ عند ذلك فقط أنا قويٌّ".

التجارب هي بداية الاستنارة

قال الشيخ: "لا يوجد أعظم من التجارب، فهي تكشف لنا عن حقيقة أنفسنا"، وشَرَحَ هذا بقوله إنه رأى مرَّةً طائرًا وقد وجد عُشَّه في شجرةٍ يابسة، ثم جاءت عاصفةٌ وقلعت الشجرة من جذورها، فرحل الطائر إلى بقعةٍ أخرى حيث وجد فيها مياهًا وأشجارًا أفضل .. لنبارك الرب على عواصف التجارب التي قد تقلع سبب الطمأنينة الكاذبة لكي نجد الطمأنينة في الرب وحده".

التلمذة

جاء أحدهم يبحث عن الشيخ لكي يَقبَله تلميذًا، ولكن الشيخ رفضه، . ولما سُئِل عن السبب قال: "اقتنِ قلبك أولاً قبل أن تقتني معلمًا لأن الذي يترك قلبه لآخرين لن يتعلم ولو أعطوه الحكمة في زجاجة لكي يشرب منها متى أراد".

القداسة

قال الشيخ: "القداسةُ مثل الجَمَال، تفقد جوهرها تمامًا إذا حاوَلَت أن تتزيِّن"، ولما طُلِبَ منه أن يشرح قال: "مَن أدرك أنه قديسٌ، فَقَدَ القداسة".

روحاني

جاء أحدهم من المعروفين بالروحانيين، وقال للشيخ إنه لا يقدر على القيام بالتدريبات الروحية التي يعطيها للآخرين، فأجابه الشيخ: "توقف لأن القداسة الحقيقية ليست أن نغيِّر أنفسنا بإرادتنا، بل أن نقبل أن يغيِّرنا الله". أمَّا المشهور بالروحانية فقد تعجَّب من كلام الشيخ وسأله: وكيف يغيِّرنا الله؟" فنظر إليه الشيخ وقال: "بأن نكف عن طلب المديح من الناس". ولما سأله الأخوة ماذا كان يعني؟ قال: "لدينا اليوم روحانية بلا حياة حقيقية من الله لأن الحياة التي وُهِبَت لنا في المسيح يسوع تبدو أقل مما نشتهي، ولكنها مع ذلك فهي الحياة الحقيقية".

عالِم

جاء عالِمٌ مشهور ليزور الشيخ، فسأله الشيخ: "ماذا تطلب؟" فقال العالِم: "الحياة"، فقال الشيخ: "إذا كنت تطلب الحياة يجب أن تموت الكلمات"، ولَّما سأله الأخوة ماذا كان يعني، قال: "الكلمات مهما عظُمَت لا تحتوي على حياة، فالإنسان لا يشبع من تأمُّل قائمةِ طعامٍ في مطعم".

إفراز

قال الرب يسوع: "اقرع يُفتَح لك"، وعلَّق الشيخ على هذا بقوله: "كيف يُفتَح الباب وهو أصلاً لا يُغلق..."، ولَّما عجز السامعون عن إدراك معنى كلمات الشيخ، قال: "الرب كان يتكلم عن القلب".

خائف

قضى أحد الأخوة فترةً مع الشيخ، ولَّما أراد أن ينصرف طلب من الشيخ كلمة منفعة، فقال له الشيخ: "النار ليست ساخنة، وإنما جسدك هو الذي يشعر بالحرارة. العين لا ترى، وإنما أنت الذي ترى. القلم لا يرسم الدائرة، وإنما الرَّسام".

بلا فائدة

قال أحد الزوار إنه قضى عدة أسابيع يسمع كلام الشيخ ولم يستَفِد، فقال له الشيخ: "مَن يجلس تحت شجرة ينتظر سقوط الفاكهة، ليس كَمَن يتسلق الشجرة لكي يقطف الثمار".

النظريات

هاجم الشيخ محبي الكلمات وقال إن كلمة "اللّه" نفسها لا تفيد الإنسان شيئًا. ولمَّا سمِعَ أحد الإكليروس ذلك أسرع محتجًّا، فقال له الشيخ: "السيارة التي جئت بها إلى هنا ليست هي التي أتت بك إلى هذه الغرفة لأنك تركتها في الخارج، وهكذا مَن يصل إلى اللّه لا يتمسك بكلمة أو باسم".

الشهادة للحق

قال الشيخ: إذا أردت أن تشهد للحق فعليك أن تكف عن خطأين؛ الأول أن تمتنع عن الحديث عن فضائلك، والثاني أن تمتنع عن الحديث عن نقائص الناس".

الخوف من الغد

قال الشيخ: "لماذا نخاف من الغد؟ ألم يكن اليوم والأمس كلاهما مشحونٌ بالأخطار ... وكلاهما عبرا؟".

زوجٌ أفضل

جلس الشيخ يستمع شكاية زوجة ضد زوجها، وبعد أن انتهت قال لها: "سوف يكون زواجك سعيداً في يوم من الأيام إذا صرتِ زوجةً مثاليةً، فقالت: كيف؟ فقال عندما تتوقفين عن محاولاتك لجعل زوجك الرجل المثالي الذي تريدينه".

أيُّ إلهٍ هذا؟

كان الشيخ يحذِّر الناس من الإيمان بإلهٍ يخلِّص الناس من مشاكلهم الخاصة مثل الديون والأمراض ... إلخ وقال إن هذا الإيمان ساذج ويجب أن يتبعه إيمانٌ آخر يؤمن بعطية الألم. ولمَّا سُئل عن ذلك قال: نحن نؤمن بمن خلَّصنا على الصليب، فكيف نرفض الألم كهبةٍ من اللّه؟ وقال إنه مرةً كان في إحدى مدن الدلتا وكانت لديه سيارة جديدة تركها والمفاتيح في داخلها، ولمَّا تذكَّر هذا في الصباح أسرع فوجد السيارة فركبها إلى كنيسةٍ قريبةٍ وترجَّل لكي يشكر اللّه على عنايته، وبعد الصلاة القصيرة خرج فوجد السيارة قد اختفت ...!!

وعلَّق الشيخ بعد ذلك بأن اللّه امتحنه بهذا القدر لكي ينقِّي قلبه من حب القنية، أمَّا اللص فهو لابُد وأن يكتشف زيف السرقة.

الإصلاح

تناقُض المبدأ والواقع يجعل الإصلاح أحيانًا مستحيلاً ويجعل الكل يصرخ هربًا من مسئولية الإصلاح بالقول الشائع: "صلِّح نفسك أولاً"، وعندما سُئل الشيخ قال: يوجد نوعين من المُصلِحين؛ نوعٌ يحوِّل مجرى النهر فقط لكي يتدفق النهر بكل قوته في الاتجاه الصحيح، ونوعٌ يجلس بجانب النهر يمدح المياه ويحاول أن يلقي بكوبٍ من الماء في النهر لكي يرتفع منسوب المياه".

الدعوة إلى الحق

كان أحد التلاميذ مغرمًا جدًا بالحديث عن الحق في كل مناسبة حتى أن الشيخ سأله إن كان يقبل أن يتكلم في محاضرةٍ عامة عن كيفية إقناع الناس بالحق، وبعد المحاضرة قال الشيخ: كانت محاضرتك جيدة، ولكنك لا تزال عاجزًا عن الشهادة للحق لأنك لا تزال تشهد لفضائلك ولأنك تريد من الناس أن يتبعوك أنت ... وأنت لست الحق".

الطمع والحق

طلب تلميذٌ آخر أن يتولى مسئولية تعليم الزوار وكان الشيخ يؤجِّل حتى فرغ صبر التلميذ ، ولمَّا سأل الشيخ قال له الشيخ: سوف تعلِّم الناس متى تطهَّر قلبك من الطمع في شهوة التعليم ...".

إنسانٌ عادي

جاء أحد الروحانيين لكي يسمع تعليم الشيخ، وانصرف وهو يقول: لقد وجدته إنسانًا عاديًّا لا يوجد فيه شيءٌ خارق أو مدهش. ولمَّا سمِعَ الشيخ قال: المعلم مثل الترزي يفصِّل الملابس حسب المقاس".

العلم المزيَّف

سأل أحد الزوار: ما هي العلامة المؤكَّدة التي تؤكد لنا أن المعلم ليس مزيَّفًا بل معلِّمًا حقيقيًّا؟ فقال الشيخ: إذا كنت لا تخدع الآخرين، فإنك أنت نفسك لن تنخدع بمعلمٍ مزيَّفٍ .. وأضاف: لماذا تفترض أنك أكثر أمانة من غيرك؟ الإنسان يطلب ويفتِّش بدقة عن الأشياء والفضائل التي فقدها هو ..!!

دائمًا مع اللّٰه

قال تلميذٌ إن شهوة قلبه أن يكون دائمًا مع اللّٰه. وعلَّق الشيخ على ذلك بقوله: "هذا مستحيل لأن الوجود الدائم مع اللّٰه يقتضي التنازل الدائم عن الذات، وهذا ليس سهلاً .. أن تكون مع اللّٰه يعني أن لا تكون أنت كما أنت، وأن يكون اللّٰه معك يعني أن لا تكون أنت كما أنت".

لماذا تحتاج إلى معلم؟

قال أحدهم: إن الكتاب المقدس يكفي، ولسنا نحتاج إلى مُعلِّمين. فقال الشيخ: هذا صحيح. وبعد فترة جاء آخر وقال إن المعلم ضروري جدًا لأنه يساعدنا على فهم الكتاب المقدس. فقال الشيخ: هذا صحيح. ولمَّا سُئل عن هذا التناقُض قال: "الذي يجد أن الكتاب المقدس يكفي، سوف يكتشف على المدى الطويل أنه يحتاج إلى معرفة رأي الآخرين لأنه لا يوجد إنسانٌ ما استطاع أن يفهم كل ما في كلمة اللّٰه من أسرار ... أمَّا من يقول إن المعلم ضروري جدًا لأنه يساعدنا على فهم الكتاب المقدس، فهو أيضًا سيجد في النهاية أنه يفهم الكثير بدون معلِّمين".

ما هو التنازل عن الذات؟

سُئل الشيخ عن معنى التنازُل عن الذات، فقال إنه جحد الذات. وسُئل وما هو جحد الذات؟ ولمَّا كان التلميذ يقف مع الشيخ عند طرف بحيرة، قال له الشيخ: انظر هذا الطائر الذي يطير فوق سطح الماء، إنه لا يحس بصورته التي كُوِّنت على سطح الماء، ولا الماء نفسه يتمسك بهذه الصورة ...".

التلمذة

كان الشيخ يسأل كل تلميذ يرغب في التلمذة عليه هذه الأسئلة، وكانت الإجابة الصحيحة بمثابة بداية التلمذة: هل تعرف مَن الذي لن يتخلَّ عنك أبدًا خلال حياتك كلها؟ فإذا قال التلميذ: الله أو الرب يسوع أو أحد القديسين، رفضه الشيخ على الفور، لأن الإجابة الصحيحة هي: أنت، أي التلميذ نفسه. والسؤال الثاني: هل تعرف مَن هو المسئول عنك مسئولية مطلقة؟ فإذا قال التلميذ اسمًا آخر غير اسم التلميذ نفسه، رفضه الشيخ. ولمَّا سُئل عن الغاية من السؤالين، قال: "السؤال الأول خاصٌّ بالرغبة في بذل الذات، والسؤال الثاني خاصٌّ بقبول مسئولية بذل الذات. الإنسان الذي لا يؤمن بأنه هو قبل أي شخصٍ آخر محور الحياة الروحية لا جدوى منه، ومَن لا يقبل مسئولية الحياة الروحية لا جدوى منه".

النمو الروحي

قال الشيخ وهو يتألم: "مسئولية المُعلِّمين أنهم لا يسمحون لتلاميذهم بالنمو، بل يحاربون هذا النمو". ولمَّا سُئل عن معنى هذه العبارة، قال: "لا يسمحون لتلاميذهم بالنمو لأنهم يجعلونهم عبيداً، ويحاربونهم إذا نموا لأنهم يقتلون فيهم رغبة البحث".

النمو الصحيح

وقال أيضًا: "مشكلة البعض هي في التوقف عن النمو. وقال إن التوقف عن النمو يحدث بالتوقف عن المثابرة لتعلُّم الحق".

الاضطهاد

سُئل عن الاضطهاد، فقال: "الظاهر لعينيَّ الآن أن الاضطهاد هو العلامة الوحيدة المؤكَّدة لصحة المبدأ. فقيل له كيف؟ فقال: الأقلية هي التي تقبل الحق وتضحي دائمًا من أجل الحق ...".

+ + +